مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 15 العدد: 02 السنة 2023 ص 858 - 876

تاريخ الإرسال: 2020/02/14 تاريخ القبول:2020/11/01
تاريخ النشر : 2023/06/03

مناهج البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية

Research methods in the humanities and social sciences.

بلقاسم غزيّل
جامعة غرداية (الجزائر) ؛ ghezailb@gmail.com

الملخص:

يعتقد بعض الدارسين أنّ تطبيق المنهج العلمي حكر على العلوم الطبيعية وحدها، لأنّ ظواهرها يمكن ملاحظتها وإجراء التجارب عليها، وبالتالي الخلوص إلى نتائج علمية حقيقية ودقيقة لا مراء فيها، و أمّا العلوم الإنسانية والاجتماعية – كما يعتقد هؤلاء– فلا حظ لها من تطبيق المنهج العلمي إلا في حدود ضيقة لأنّ مواضيعها يطبعها التغير والاختلاف وتكتنفها الذاتية ويعوزها الإطلاق، وظلّ هذا الاعتقاد سائدا لفترات زمنية عديدة، غير أنه وفي العصر الحديث أبان الدارسون في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية عن مجهودات معتبرة، حاولوا فيها تطبيق المنهج العلمي في دراساتهم، وتوصلوا من خلاله إلى نتائج علمية باهرة لا تتعارض مع الموضوعية العلمية...؛ وفي هذا المقال نحاول مناقشة هذه الفكرة المتعلقة بمدى إمكانية تطبيق المنهج العلمي على العلوم الإنسانية والاجتماعية وعلى البحث اللغوي على وجه الأساس.

الكلمات المفتاحية: المنهج، البحث اللغوي ، العلوم الإنسانية و الاجتماعية.

Abstract:

Some scholars believe that the application of the scientific method is restricted to natural sciences alone because its phenomena can be observed and experimented with, thus concluding real, accurate, and irreversible scientific results. As for the humanities and social sciences - as they believe - there is no chance of applying the method Scientific except in narrow limits because its subjects are characterized by change and difference and subjective and subjective and lacking at all, and this belief remained prevalent for many periods of time, but that in the modern era, scholars in the field of humanities and social sciences have shown significant efforts, in which they tried to apply the scientific method In a study It is important, and they reached through him brilliant scientific results that do not contradict the scientific objectivity ... this papre try to discuss this idea regarding the extent of the applicability of the scientific method to the humanities and social sciences and linguistic research in the first place.

Keywords: scientific method. humanities and social sciences. the method Scientific **.**

.

المؤلف المرسل: بلقاسم غزيّل ، الإيميل: GHEZAILB@GMAIL.COM

1- المقدمة:

انقضى عهد الموسوعات ومالت العلوم في العصر الحديث إلى التخصص فما عاد ضروريا أن يكون الباحث ملما بكل شيء جامعا لشتى العلوم حتى تقبل تآليفه و تنتشر تصانيفه.

إن الكم المعرفي لم يعد هاما في مناهج العلوم الحديثة ،فلا تقدر قيمة البحث بعدد صفحاته، وكثرة أبوابه وفصوله ومباحثه إنما تقدر قيمة البحث بمدى التزام

صاحبه بخطوات المنهج العلمي التزاما صارما يسمح له بالإسهام بشيء ذي بال في مجال البحث العلمي، وفي موضوع محدّد، يفضي إلى نتائج علمية، و إلى مخرجات حاسمة بصرف النظر عن الكم المعرفي و بريق العناوين و تعدد المباحث و المطالب .

فعلى الباحث أن يفقه هذه الحقيقة التي بواسطتها يستطيع الغوص في مكونات العلوم و يعرف بها كيف ينتقي المعارف التي تخدم بحوثه مهما طالت أم قصرت.يقول الأستاذ محمد شطوطي في كتابه (منهجية البحث) : " لما كنت طالبا في مرحلة الماجستير لم يكن أستاذي المشرف يركز على المعلومات الواردة في بداية الأمر و إنما يهتم بمنهجية البحث و عناصره و مراحله ...عندها أدركت أن المنهجية العلمية في البحث لا بد منها قبل أن يشرع الطالب الباحث في تحرير رسالته"[1].

فالمعلومة إذا لا أهمية لها إلا إذا كانت في إطار منهج علمي دقيق، و المنهجية في المقام الأول قبل المعارف .

لكن القضية لا يمكن أن تطرح بهذه السهولة ،إن العلوم مختلفة ،فمنها الطبيعية و منها الإنسانية و الاجتماعية ،و تطبيق المنهج على العلوم الطبيعية أمر ممكن لأن الظاهرة (المادة) الطبيعية ماثلة للعيان يمكن إحضارها إلى المختبر و إجراء التجارب عليها فتأتي النتائج مشاهدة معززة بالإحصاء و النسب و الأرقام . وبالمقابل فإن البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية – وهو موضوع بحثنا– ليس من اليسير تطبيق المنهج العلمي على هذه العلوم لأنها تختلف أيما اختلاف عن العلوم الطبيعية ،و بما أن عملنا هذا يتعلق أساسا بالبحث في اللغة، فإننا نقول إن اللغة ظاهرة اجتماعية يصنفها الباحثون مع الظواهر غير المادية ،و الفرق شاسع بين البحث في الظواهر المادية و الظواهر غير المادية ،لأن دراسة الأولى تتيسر

بمجرد التعرف على الحيثيات و التدقيق في المعالم والنظر في الظاهرة نظرة دارس حصيف متفان .كأن يبحث مهندس معماري في أشكال العمارة الإسلامية في الأندلس أو في الهندسة المستعملة في مساجد مصر و مآذنها ،ففي هذا المقام تكون الظواهر ملء السمع و ملء البصر، وما على الباحث إلا أن يكون حذقا متيقظ الفكر وأن يكون أمينا في سوق الافتراضات و عرضها على بلورة النتائج المتوصل إليها .

بينما نجد البحث اللغوي أكثر صعوبة ،لأن أمام الباحث نظاما متكاملا يؤدي وظيفة تواصلية ،فعليه أن يلوذ بالصبر ويستعين بالأناة في خضم الآلاف من الجزئيات المكونة للنظام اللغوي ثم بعد ذلك يقوم بتصنيف هذه الجزئيات وهذه العناصر تصنيفا علميا يربطها في نظام متكامل و هذا بعد تسجيلها و ملاحظتها.

والمعروف أن تراثنا الثقافي يزخر بالبحوث اللغوية إلا أنها كانت في معظمها تعوزها المنهجية ،و في وقتنا الراهن جاء فريق من العلماء يروم نفض الغبار عن تلك التآليف العتيقة وتقديمها في قالب تطبعه المنهجية العلمية .يقول الدكتور محمد يحياتن في كتابه: (البحث اللغوي في المغرب العربي) ما نصه:

"وإذ نحن نستعرض الاتجاهات العامة فإنه يتعين علينا نشير إلى [أنّ][2] هناك ثلةالباحثين قد راعهم العبث الذي لحق التراث اللغوي العربي ...و لا يسعنا إلا أن نسجل بكثير من الفخر و الاعتزاز أبحاث الأستاذين عبد الرحمن الحاج صالح و الدكتور عبد السلام المسدي"[3].

انطلقنا في هذه المداخلة من إشكال عام مفاده:هل أن تطبيق مناهج البحث في البحث العلمي على العلوم الإنسانية والاجتماعية أمر سهل المنال ؟

وهل بالإمكان تطبيق هذه المناهج على هذه العلوم دون الوقوع في شطط الذاتية، وهل من ضمانات موضوعية للوصول إلى نتائج علمية؟

حاولنا الإجابة عن هذا الإشكال وعن أسئلة أخرى عنّت لنا في تضاعيف هذا العرض و لقد نوهنا في البداية بأهمية الموضوع في حد ذاته، انتقلنا بعد ذلك إلى الحديث عن إشكالات تطبيق هذه المناهج على اللغة خاصة ،ذلك أننا اخترناها نموذجا من بين هذه العلوم الاجتماعية و الإنسانية .ثم انتقلنا إلى تحديد بعض المصطلحات المتعلقة بالموضوع ومنها :البحث ،المنهج ،البحث العلمي ...لنعرج بعد ذلك تعريجا خاطفا على البحث اللغوي في تراثنا العربي الأصيل ،ثم على البحث اللغوي في الجزائر و قد ذكرنا في هذا الصدد بعض البحوث اللغوية و عزوناها الى أصحابها ،لنصل في الأخير الى صلب الموضوع والمتعلق بمراحل البحث العلمي (اختيار الموضوع،الإشكالية الفرضيات ،جمع المعطيات ...) لنذيل عملنا في الأخير بخاتمة خلصنا فيها إلى ذكر بعض النتائج التي توصلنا إليها انطلاقا من مراحل هذا المقال .

غير أن إشكالا آخر يفرض نفسه في ثنايا هذه القضية مفاده :هل بالإمكان تطبيق المنهج العلمي بكل جزئياته على العلوم الإنسانية و الاجتماعية بما فيها اللغة ؟ و اللغة فرع من فروعها؟

نقول لقد أسلفنا القول آنفا أن تطبيق المنهج العلمي في العلوم الطبيعية سهل بكثير عن تطبيقه في العلوم الاجتماعية و الإنسانية ،غير أنه ليس من المستحيل تطبيقه في هذه الأخيرة .

صحيح إن اللغة كيان معقد و نظام متكامل لا يمكن حصره في بوتقة نلقي عليها الضوء فتتكشف لنا خصائصها و مكوناتها، و إذا رمنا تقصيّ الأسباب التي من خلالها تنعقد الصعوبة و تتفاقم العوائق على تطبيق المنهج العلمي في العلوم الإنسانية و الاجتماعية فإننا نعدّد بعضها فيما يلي :

1. صعوبة تطبيق المنهج التجريبي على الظاهرة الاجتماعية لأنه ليس بالإمكان عزل مثيراتها
2. عدم استقرار الظاهرة الاجتماعية لأنها تمتيز بالتغير السريع .
3. عدم دقة القياس في مجال الظواهر الاجتماعية و الإنسانية لأنها لا تخضع لأدوات فنية تتولى ذلك .
4. خضوع بعض الظواهر الاجتماعية و الإنسانية لمعايير أخلاقية .

ومع ذلك فإن الباحث في مجال اللغة لا مندوحة له عن اختيار المنهج العلمي و توظيفه على مجال بحثه

وقبل التطرق إلى الحديث عن مراحل البحث العلمي و التي اخترناها أن تكون محور بحثنا هذا.نرى من الأهمية بمكان أن نعرج على تحديد بعض المصطلحات المتعلقة بهذا المجال ،كالبحث و المنهج و مفهوم البحث العلمي، و لنبدأ بتعريف البحث في اللغة، جاء في كتاب: (المصباح المنير للفيومي) للفيومي:

"بحث عن الأمر بحثا :استقصى ،بحث في الأرض حفرها، وفي التنزيل : ﴿ فبعث الله غرابا يبحث في الأرض﴾ "[4]. و أما في: (المعجم الكافي) فلقد ورد تعريف البحث هكذا:

"و البحث مصدر بحث ،بذل جهدا في موضوع ما،و استقصاء المسائل التي تتصل به" [5] .

و أما المنهج في اللغة فقد ورد تعريفه في (لسان العرب) بما نصّه: " منهج كنهج و منهج الطريق، وضحه، و المنهاج كالمنهج: و في التنزيل: ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة و منهاجا﴾" [6]. فالمنهج لغة هو الطريق.

و أما في الاصطلاح فيعرفه الدكتور محمد علي الرديني بقوله: " المنهج مجموعة من القواعد التي تهدف إلى الكشف عن الحقيقة العلمية أولا و إقامة البرهان

على صحتها و فسادها ثانيا"[7]. و المنهج اصطلاحا هو قواعد يرجى منها الوصول إلى حقائق علمية وفق حجج و براهين.

و ما دمنا في مبحث المنهج لابد من الإشارة و لو باختصار إلى أنواع المناهج الحديثة المتبعة و المقترحة من قبل الباحثين لاستعمالها في مجال العلوم و اللغوية و ذلك بحسب الموضوع المتناول:

1- المنهج المقارن: و يتبع إذا كان البحث منصبا حول ظاهرة تستدعي مطابقتها بمثيلاتها، و على سبيل المثال ظاهرة الحركات الإعرابية في اللغة العربية تقتضي النظر في لغات أخرى، و به توصل الباحثون إلى أنها ظاهرة مشتركة بين العربية و اللغة العبرية القديمة و اللغة الآرامية.

2- المنهج الوصفي: و بعبارة واضحة يعني دراسة اللغة دون الخروج عن نطاقها و يسوغ المنهج الوصفي على سبيل المثال في دراسة لهجة معينة بعيدا عن المراحل الزمنية و البيئية و الاجتماعية.

3- المنهج التاريخي: و يدرس اللغة بتتبع تطورها و تغيرها عبر الزمن، ومن ذلك دراسة حرف (الضاد) صوتيا لمعرفة خصائصه عبر الزمن.[8]

البحث اللغوي في التراث العربي :

ليس بمقدورنا في هذا المقام أن نستقصيّ جميع الخطوات و نغوص في البحار الزاخرة بالبحث اللغوي في مختلف عصور أمتنا المجيدة ، وقد يكون بالإمكان هنا أن نسلط بعض الضوء على تلك البدايات الأصيلة التي آثرت الغوص في أعماق لغتنا العربية كي تجمع الكنوز واللآلئ، ومع تلك البدايات ألقيت على أرض لغتنا الخصبة البذور الأولى في شجرة البحث اللغوي إلى أن ترعرعت و آتت أكلها كل حين بإذن ربها.

وبين يدي هذا الاختصار الموجز، نذكر أولى خطوات البحث اللغوي في فجر الدراسات اللغوية و منها اختلاف علمائنا القدامى حول أصل اللغة فمنهم من كان يرى أنها إلهام وتوقيف من عند الله تعالى. ومنهم من قال إنها اصطلاح وتواضع، فمن أصحاب الرأي الأول "ابن فارس"الذي يقول :"إن لغة العرب توقيف و دليل ذلك قوله جل ثناؤه : ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾[9] " .وكان "ابن عباس "يقول :"علمه الأسماء كلها وهذه هي التي يتعارفها الناس من دابة و أرض وسهل و جبل وجمل و حمار و أشباه ذلك"[10].

و من أصحاب الرأي الثاني العالم اللغوي أبو الفتح عثمان بن جني الذي يقول: "... غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع و اصطلاح لا وحي و توقيف. "[11].

كما لا يفوتنا هنا أن نذكر بعض الجهود المبكرة التي بذلها علماء العربية منذ القديم و منها مجهودات أبي الأسود الدؤلي الذي ينسب إليه أنه مؤسس علم النحو في العربية ثم تابع تلاميذه بعد ذلك الدرس النحوي و منهم "نصر بن عاصم الليثي " و "يحي بن يعمر العدواني ".....

إلى أن بلغت الدراسات اللغوية العربية أوجها مع قمة الفكر العربي "الخليل بن أحمد الفراهيدي " الذي كان موسوعة شاملة في مستهل القرن الثاني الهجري كما أنه أول من وضع معجما عربيا سماه "العين" .و قد بحث هذا العلامة الفذ في الأصوات العربية و نحوها و عروضها .ثم يأتي تلميذه العبقري "سيبويه" بمؤلفه الفذ الذي سماه "الكتاب"

وفيه يقول الدكتور محمد المختار ولد ابّاه "ليس من شك أن "الكتاب "ثروة علمية فريدة"[12]

وقد عرف النحو العربي تشكل المدارس النحوية مدرسة البصرة و مدرسة الكوفة، و مدرسة بغداد و إن كانت المدرستان الأوليان أكثر شهرة و انتشارا ،و كان لكل مدرسة علماؤها و أسسها في التنظير للدرس النحوي .

ولقد تواصل الدرس النحوي بعد القرن الثاني، إلى أن طبعه الجنوح إلى التعليل بالعلل الثواني و الثوالث، و الولوع بالأمثلة الافتراضية ابتداء من القلان الرابع الهجري حتى جاء "ابن مضاء القرطبي " بكتابه: (الرد على النحاة) و الذي أحدث به ثورة حقيقية في أصول النحو العربي و لقد تصدى لهذه النظرية كثير من الدارسين العرب قديما وحديثا .

و لقد تطوّر الدرس اللغوي و تنوعت طرائقه و أشكاله و ذلك بظهور المتون العلمية و لعل من أشهرها تلك التي تعنى بالدرس النحوي كألفية "ابن معطي "و ألفية "ابن مالك الأندلسي".

البحث اللغوي الحديث :

توالت البحوث اللغوية في العصور المتأخرة و لعل أهم مظهر يؤكد ما ذهبنا إليه ظهور المجامع اللغوية في بعض العواصم العربية :مجمع اللغة العربية بالقاهرة و مجمع اللغة العربية بدمشق ،مجمع اللغة العربية ببغداد ...هذه المجامع التي يرجع اليها الكثير من الفضل في التعامل مع ما استجدّ من مفاهيم و مصطلحات و مع ما تغير من شؤون الفكر و الثقافة و الاجتماع و السياسة ،و ما فتئت تصدر هذه المجامع قرارات تتعلق باللغة و قضاياها. بالإضافة إلى هذا نسجل تأثر اللغويين العرب في العصر الحديث بالنظريات اللغوية الحديثة التي ظهرت منذ بدايات القرن العشرين ،و لعل أبرز تلك النظريات الحديثة نظريات العلوم اللسانية كالبنيوية الأوروبية و الوظيفية الأمريكية .

و من أبرز علماء اللسان الغربيين الذين راجت نظرياتهم في الأقطار العربية نذكر العلم السويسري "فرديناند دي سوسير "و الذي ألف بعده تلميذاه "سيشهاي "و "شارل بالي" كتابا سمياه "دروس في الألسنية العامة"سنة 1916 جمعا فيه كل مايتعلق باللسانيات الحديثة.[13] ،كما تأثر اللغويون العرب بنظرية النحو التوليدي التي جاء بها العالم الأمريكي "نوام تشومسكي "في كتابه "أوجه النظريات التركيبية "سنة 1965. و عن ثورة تشومسكي على الدراسة البنيوية السائدة في عصره و اقتراحه لنظرية النحو التوليدي التحويلي يقول الأستاذ الطيب دبه:" ...عند تشومسكي الذي تبنى التحليل إلى مكونات قريبة... من أجل ذلك صاغه صياغة منطقية (النظرية التوليدية) و حاول أن يصلح هذا النقص بإضافة مفهوم التحويل"[14] و نشير الى أن هذه النظريات أنتجت نوعا من الجدل في الدرس اللغوي العربي بين دعاة الدراسات اللغوية التقليدية و أنصار الدراسات اللغوية الحديثة .

الدرس اللغوي في الجزائر :

عرف البحث اللغوي في الجزائر قفزة نوعية منذ فجر الاستقلال لكون الظاهرة اللغوية في الجزائر ذات تجاذبات فكرية و سياسية فاهتم أهل الاختصاص بالبحوث اللغوية ،و بفضل الجامعات و مراكز البحوث التي أنشئت في الجزائر بعد الاستقلال اكتظت رفوف مكتباتنا بعدد لا يستهان به من العناوين في مجال البحث اللغوي و نحاول فيما يلي أن ذكر بعضا من تلك العناوين مع أسماء الباحثين الذين قاموا بإنجازها :

1. بكري عبد الكريم :" ابن مضاء و موقفه من أصول النحو العربي".
2. بناني محمد الصغير :النظريات اللسانية و البلاغية و الأدبية عند الجاحظ".
3. ابن حويلي ميدني :الألفاظ الحضارية في ديوان النابغة الذبياني ".

4. ابن عيسى حنفي :"محاضرات في علم النفس اللغوي ".
5. ابن نعمان أحمد :التعريب بين المبدإ و التطبيق ".
6. بوشعيب عبد العزيز :" تجربة الجامعة الجزائرية في تعليم العربية لمدرسيها".
7. الحاج صالح عبد الرحمن :" النحو العربي ومنطق أرسطو".
8. الحباس محمد :"دراسة التطوير المفردات العربية من خلال كتاب اللحن".
9. دورارى عبد الرزاق :النحو التفريعي التحويلي من خلال كتاب تشومسكي "البنى التركيبية".
10. رتيمة محمد العيد :"الألفاظ النحوية للجملة الاسمية في العربية من خلال كتابي :"الفخري في الآداب السلطانية " و"قيام الدولة العربية الإسلامية ".
11. رتيمة محمد العيد :المفردات الحضارية في شعر "عمرو بن كلثوم ".
12. رحمون زكية :"ملاحظات حول "القاف" و "القاف" في عربية الجزئر".
13. سعدي زبير :"منهاج التحري اللغوي عند قدماء النحاة و اللغويين العرب".
14. طالب الإبراهيمي خولة :"طريقة تعليم التراكيب اللغوية ".
15. طالبي عمار :"المصطلحات الفلسفية[15] .

للإشارة فقد اعتمدنا في التدليل على ثراء البحث اللغوي في الجزائر بعد الاستقلال على ما قام به الأستاذ "محمد يحياتن" من جرد لمعظم البحوث اللغوية في كل من الجزائر و تونس و المغرب ،غير أننا اقتصرنا هنا على ذكر بعض من تلك العناوين و بعض الاعلام معتمدين على التسلسل الأبجدي للحروف العربية ،و كذلك التدرج الزمني مقتصرين كذلك على ما صدر من بحوث في الجامعات الجزائرية كما نشير الى أن الجامعة الجزائرية ماتزال إلى يومنا هذا تشجع البحث اللغوي بفتحها مسابقات دورية لنيل شهادة الدكتوراه في الدراسات اللغوية.

بعد هذه الإطلالة الخاطفة على تحديدات مصطلحات هذا الموضوع ،و على ذكر شيء من البدايات الأولى في البحث اللغوي العربي ،و بعد أن عرجنا على بعض الإسهامات التي شارك بها أصحابها في مجال البحث اللغوي المعاصر.

نود أن نصل الى صلب هذه البحث و المتعلق أساسا بمراحل البحث العلمي والتي نتحدث عنها من خلال ربطها بالبحث في اللغة خاصة فنقول:

1. **اختيار الموضوع** :إن هذه المرحلة مبكرة و هامة في آن واحد فإذا كان الباحث في مجال اللغة بصدد اختيار موضوع من الموضوعات ،عليه أولا أن يكون مقتنعا بموضوع البحث الذي هو بصدده ،فمن غير اللائق أن يسأل طالب الدراسات العليا على سبيل المثال أساتذته عن موضوع جدير بالدراسة، أو يطلب من غيره اختيار موضوع مناسب لبحثه .

إن الخطوة الأولى في مجال اختيار الموضوع تكمن في المطالعة الدؤوبة و المستمرة و المفيدة لكل ما يتعلق بالتخصص الذي ينتمي إليه الطالب بأن ينظر في المصادر و المراجع قديمها وحديثها و في المجلات و الدوريات التي تتعرض لموضوع تخصصه ... و إذا كان بمنأى عن هذه المعلومات فإنه لا يستطيع اختيار موضوع البتة و حتى و لو اقترح عليه أساتذته موضوعا أو موضوعات شتى و كما يقول المثل "فاقد الشيء لا يعطيه" فأنى للطالب أن يسبر أغوار موضوع و هو غير ملم بجزئياته و تشعباته ؟ وهناك شروط لا بد أن يعرفها الباحث في مجال اللغة عندما يكون بصدد اختيار موضوعه ومنها :

1. ألا يكون الموضوع قد عولج من الزاوية التي يود الطالب معالجته منها.
2. أن يكون موضوعا قابلا للبحث و جديرا بالدراسة ،و ننوه هنا بما تقوم به الجامعات و هو عرضها للموضوع المختار على الخبراء في ذلك المجال بغية الحكم على الموضوع بالجدارة بالبحث أو عدمها .

3. أن تكون مصادر الموضوع ومراجعه متوفرة لدى الطالب و أنه يستطيع الحصول عليها في جميع مراحل بحثه .

و في خضمّ خطوات اختيار الموضوع يكون لزاما على الباحث في ميدان اللغة أو غيره أن يستحضر الأسباب التي تحدوه إلى البحث ليعرف مدى قوتها و سدادها لأنه بهذه القوة يقنع الدارسين بجدوى بحثه، و في ذلك نذكر الأسباب التي ساقها الدكتور صالح بلعيد بين يدي تقديمه لكتاب بحوثه الوسوم بـ: (محاضرات في قضايا اللغة العربية)، يقول: " و إذ أنجز هذا العمل فهو يدخل في سلسلة الأعمال المنجزة في مجال الرقي اللغوي الذي أنشده من خلال المبادئ التالية: أولا السعي لبناء لغة عصرية متطورة، ثانيا تكوين فرق بحث متخصصة، ثالثا إدخال المعلوماتية و بناء المعطيات اللغوية.. رابعا السعي من أجل إدماج اللغة العربية في شبكة الإنترنيت"[16] .

فالأسباب المسوقة هنا تتمّ على جدوى مهمة تستدعي مثل هذه البحوث بغية عصرنة اللغة العربية و تطويرها.

و تجدر الإشارة هنا إلى ألا يكون الطالب منساقا وراء ميولاته و رغباته إذا كانت لا تنسجم مع موضوع بحثه فقد يكون ميالا الى علم النحو مثلا و لكن زاده فيه متواضع واستعداداته له قليلة ،فليحذر من أن يغرق في ثنايا الموضوع و لا يصل الى نتائج تذكر كما أن الموضوع قد يكون قديما قد لاكته الأقلام و تقاذفته آراء الباحثين فأصبح خلقا مهلهلا لا يزيد إلى ميدان العلم شيئا ذا قيمة ... و لربما يكون الموضوع طريفا و على طرافته ليس جديرا بالبحث و الدراسة كما أسلفنا آنفا.

2- الإشكالية: يجمع علماء المنهج على أن البحث الناجح هو الذي يفرض نفسه على صاحبه من خلال إشكالية تتبدّى له في موضوع من المواضيع و مقتضى هذه الإشكالية أن ينطلق الباحث من زاوية معينة في موضوع من المواضيع

جديرة بالبحث و الدراسة لأنه من غير المنهجي أن يكون حادي البحث في بحثه موضوعا عاما كأن يريد أن يبحث مثلا عن ظاهرة اختلاف نطق بعض الأحرف في الجزائر فهذا موضوع عام إذ لابد من تخصيصه بأن تحدد تلك الحروف و تذكر و أن يُحدّدَ حيزاها الزماني و المكاني وفئتها المستهدفة .و الإشكالية تكون في الأساس مجموعة من الأسئلة و الاستفهامات تساور الباحث بين يدي موضوع من الموضوعات و قد يكون غموضا بدا له في موقف من المواقف التي تحتاج الى توضيح وبيان .يقول الدكتور حسان هشام في تعريف الإشكالية :"تعرف المشكلة بأنها سؤال في حاجة الى توضيح أو إجابة أو موقف غامض يحتاج إلى تفسير و بدون وجود مشكلة لا يكون هناك مبرر للباحث لمعالجة شيئ "[17]

ويفترض في الإشكالية أن تكون :

- واضحة مرتبطة بالموضوع
- مختصرة مدونة في خطة البحث [18].

3- **الفرضيات :**

إن الافتراضات التي يقترحها الباحث هي مجموعة من التخمينات الذكية و التفسيرات المحتملة الحدوث و الوقوع علميا و في ميدان الواقع و إن لم تكن كذلك ضاع الباحث وراء سراب افتراضات غير ممكنة الوقوع كالذي يحاول مثلا إلغاء الإعراب في اللغة العربية الفصيحة فهو يفترض أن تكون اللغة العربية الفصيحة بمنأى عن الإعراب في أبواب خاصة من أبوابها أو في جميع أبوابها و لكن هذه المحاولة – و قد وجدت فعلا- لم يكتب لها النجاح لأن اللغة العربية شديدة الحساسية لا تتضح معانيها إلا بظهور الحركة الاعرابية و إلا فهل هناك قراءة ثانية مقبولة غير هذه القراءة لقول الله تعالى :"إنما يخشى الله من عباده العلماءُ"[19] فلفظ

الجلالة هنا مفعول به للفعل يخشى و العلماء فاعل، فيكون المعنى أن أكثر الناس خشية لله تعالى هم العلماء ،و لا توجيه نحويا لهذه الآية غير هذا التوجيه .

و هذا الدكتور محمد كامل حسين قد نادى بإلغاء الأحكام الاعرابية في باب العدد و المعدود جريا وراء دعوة التسهيل و التيسير في النحو العربي ،فهو يرى تذكير العددين الواحد و الاثنين و ترك بقية الأعداد من ثلاثة إلى عشرة على تأنيثها على الأصل و ذلك بإدخال حرف الجر "من" فيقال –كما يرى هو – :ثلاثة من الرجال و ثلاثة من النساء بدلا من ثلاثة رجال (بتأنيث العدد)و ثلاث نساء (بتذكيره)[20] و لكن هل كتب له النجاح في ذالك ؟لا أبدا ،لأنه رام محو قاعدة في هذا الباب لا تستقيم أحكامه إلا بها

و من شروط الإفتراضات أن تكون :

– موجزة في عباراتها واضحة في دلالاتها .

– شاملة لكل ما يتعلق بالاشكال قابلة للوقوع و الاختبار [21].

4– جمع المعطيات و تحليلها :

تعد هذه المرحلة إحدى ضمانات نجاح البحث العلمي و لربما قد تكون هي البحث في قوالبه الأولى ،فالباحث بعد اختيار موضوعه و انطلاقه من إشكالية معين و بعد اقتراحه للافتراضات ، يكون لزاما عليه أن يوفر المادة العلمية لسيرورة جميع المراحل السابقة لهذه المرحلة .

فجمع المعطيات هو المعلومات المرتبطة أساسا بالبحث ،هي نتيجة النظر الدقيق فيما بين يدي الباحث من وثائق :(مصادر ،مراجع ،مجلات ،خرائط ...) .

فهذا الجمع هو ارتباط الباحث بنصوصه الأصلية التي اختارها لتكون مظنّة معلومات بحثه التي يهرع إليها كلما استعصت لديه فكرة تتعلق بجزئية من جزئيات بحثه أو مرحلة من مراحله .

ومن أسباب نجاح عملية الجمع أن تكون من النصوص الأصلية لا من الدراسات أو البحوث التي كانت عالة عليها ،فالباحث في ألفية ابن مالك مثلا يجب عليه النظر أولا في المتن الذي هو مدونة بحثه ،و الدارس لشعر شاعر من الشعراء عليه أولا إحضار دواوين ذلك الشاعر قبل أن ينظر في النقد أو الدراسات التي كتبت عن ذلك الشاعر وشعره ."و أول عمل يقوم به الطالب الباحث عند جمع المعلومات هو الاعتماد على النصوص الأصلية ،فإذا كان الطالب يبحث في نظرية المعرفة عند "ليبنتز" واجب عليه أن يعود الى كتب "ليبنتز" وليترك الدراسات حولها إلى المرحلة الثانية "[22].

و ما دمنا في نطاق الحديث عن عملية جمع المعلومات نشير الى أنه يطلق عليها مصطلح معروف و هو (التقميش) ،و للتقميش طرائق متعددة و معروفة منها البطاقات و الكراسات و الملفات ...و يرى طائفة من الباحثين أن طريقة البطاقات هي المثلى في عملية الجمع لأنها :

1.سهلة الترتيب.

2.يوجد فيها المعلومة الخاصة بالمصدر أو المرجع .

3.بإمكانها أن تبقى فيستفاد منها في بحث جديد .

وهناك طريقة الملفات أو ما يعرف بالكلاسير (الحافظة) "و الذي تحفظ بداخله أوراق بيضاء ذات لسان بارز تعنون بعنوان جانبي وفقا لتقسيمات الرسالة ..هذا الكلاسير يمكن للباحث حمله حيثما شاء في حين يصعب حمل صندوق البطاقات"[23].

و مع أننا لا ننقص من قيمة ما ذكر هنا عن التقميش و أشكاله فإننا نؤكد أن هذه الأمور أصبحت من الماضي إذ تكفلت أجهزة الإعلام الآلي في هذا العصر بقاء هذه المعلومات و حفظها بطرق عديدة.

الخاتمة:

وأخيرا و بعد هذه المتابعة العلمية لموضوع تطبيق المنهج العلمي على اللغة كظاهرة اجتماعية يمكننا تسجيل بعض النتائج التي خلص إليها هذا البحث و منها:

– المنهج في العلوم أكثر أهمية من المعلومات في حد ذاته لأنّ مفاهيم محددة و أفكارا منسقة تصدر عن منهج علمي صارم و دقيق أفضل بكثير من حشد هائل من المخرجات المتداخلة و القضايا المتناثرة هنا و هناك.

– سهولة تطبيق المنهج العلمي على العلوم الطبيعية لارتباطها بظواهر مشاهدة و مواضيع محددة و مدركة.

– صعوبة تطبيق المنهج العلمي على اللغة لأنها من الظواهر غير المادية و لكن لا مندوحة للباحثين في اللغة عن تطبيق المنهج العلمي.

– مراحل البحث العلمي كلها تصلح للتعامل مع عملية البحث في اللغة ابتداء باختيار الموضوع، و طرح الإشكالية، مرورا بتصور الفرضيات، و جمع المعطيات و تحليلها، وصولا إلى استنتاج النتائج.

– اختيار الموضوع لابد أن يكون صائبا ينطلق الباحث إليه من خلال مطالعات دؤوبة و نظرات موضوعية، و كلما كانت الأسباب قوية و الحاجة ملحة للموضوع كانت جدواه قائمة.

– طرح الإشكالية لابد أن يكون علميا ممنهجا باعتماد الدقة في صياغتها و احتوائها على المصطلح العلمي.

– و أما الفرضيات المقترحة فيجب أن تكون تخمينات ذكية ذات تفسيرات محتملة الحدوث و الوقوع علميا و في ميدان الواقع.

– و جمع المعطيات و هو المتعلق بالمعلومات المرتبطة أساسا بالبحث و لابد أن تكون نتيجة النظر الدقيق فيما بين يدي الباحث من وثائق :(مصادر ،مراجع ،مجلات خرائط ...)

– أنواع المناهج الحديثة المتبعة في دراسة اللغة هي: المنهج المقارن، المنهج الوصفي، المنهج التاريخي....

– و أخيرا نتائج البحث يحسن فيها أن تكون قوالب علمية تتمتع بالقبول من أهل الاختصاص، و تضيف إلى ذا الاختصاص إضافة علمية.

قائمة بأهم المصادر و المراجع:

---

[1] منهجية البحث ،محمد شطوطي ،دار مدني ، الجزائر ،2002،د/ط،ص: 5

[2] أنّ غير موجودة في الأصل.

[3] البحث اللغوي في المغرب العربي ،محمد يحياتن ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،1993،د/ط،ص،16.

[4] المصباح المنير للفيومي ، دار الحديث، مصر ، 1429هـ/2008م،د/ط،ص:29.

[5] المعجم الكافي ،محمد خليل الباشا، شركة المطبوعات،بيروت، لبنان، 1994م، ط3،ص202 .

[6] لسان العرب، ابن منظور، تح/ ياسر أبوشادي، مجدي السيد، المكتبة التوفيقية مصر،د/ت، د/ط، ج4، باب النون، ص 331

[7] 7 في علم اللغة العام، محمد على الرديني، عالم الكتب، لبنان، 1423هـ/2002م،ط1،ص89

[8] 8 ينظر، فصول في علم اللغة العام، ص108

[9] 9 البقرة . 31.

[10] 10 الصاجبي في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها ابن فارس، تح/ أحمد بسج، دار الكتب العلمية، لبنان، 1418هـ/1997م،ط1،،ص :31.

[11] الخصائص ،لابن جني تح/ محمد علي النجار، عالم الكتب،لبنان، 1431ه/2010م،ط2، ،ص:72.

[12] تاريخ النحو العربي ، محمد المختار ولد اباه، دار الكتب العلمية، لبنان، 1429ه/2008م، ط2، ص :89 .

[13] ينظر، اللغة و التواصل، عبد الجليل مرتاض، دار هومة، الجزائر،2000،د/ط، ص49

[14] مبادئ اللسانيات البنوية، الطيب دبه، دار القصبة، الجزائر، 2001م،د/ط، ص52

[15] البحث اللغوي في المغرب العربي،ص11

[16] محاضرات في قضايا اللغة العربية، صالح بلعيد، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، د/ت، د/ط، ص03

[17] منهجية البحث ،ص:92 .

[18] ينظر ، نفسه، ،ص :92.

[19] فاطر :28

[20] ينظر :احياء النحو و تجديده، عبد الله اسماعيل، منشورات جامعة عمر المختار، ليبيا، 1994،ط1، ،ص :112 .

[21] ينظر المنهجية في كتابة البحوث ،عثمان حسن عثمان،مطبعة عمار قرفي، باتنة، الجزائر، ،ص :23 .

[22] منهجية البحث ،ص :26.

[23] المنهجية في كتابة البحوث ،ص :22,